

فبشر عبادي الذين يستمعون القول  
فيتنبون أحسنه أو تلك الذين هداهم  
الله وأولئك هم أولو الألباب

# المسحاة

يقول الحكمة من بقاء ومن يوث  
الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما  
يذكر إلا أولو الألباب

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للاسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق)

(مصرف في يوم الثلاثاء ١٦ رجب الحرام سنة ١٣١٩ - ٢٩ أكتوبر (ت ١) سنة ١٩٠١)

## الاستقلال والاتكال

« بقلم الكاتب الفاضل محمد افندي كرد علي الدهشقي »

يطالع المستفيد مئات من كتب الفلسفة والأدب وعلوم العمران فلا  
يعلم ان يستقل منها ما يأخذ مأخذه من العقول ويحدث أترآ في النفوس ولا  
عجب فقد تنصرف وجهة الألو ف الى خدمة العلم وبث الملكات الصحيحة  
فاذا فوضل بينهم ووضعت اعمالهم في ميزان النصفة وعلى محك الاستبصار  
يكثر الشائل ويقلُّ الراجح . والمؤثرون في الافكار في كل الاعصار  
والامصار اندر من الغراب الاعصم والكبريت الاحمر . على ان كل من  
بذر بذوراً طيبة لا ينفكُ مثلوجاً فؤاده مها تأخر نباتها وإبتاؤها لعلها  
بأنها ستؤتي أكلها عاجلاً او آجلاً اذا لاءمتها طبيعة النبات واحسنت  
تهدها ايدي القائمين عليها

وقد وقع شيء من هذا ان صح حدسي للكتاب الذي ألقاه المسير  
ادمون ديولان الفرنساوي وعربه احمد فتحي بك زغلول المصري المسعي

« سر تقدم الانكاز السكسونيين » فانه اثر في الفرنسيين أثراً حسناً  
وسرى قول مؤلفه في بلاد الافرنج منذ نحو خمس سنين فترجم الى لغاتهم  
وتناولته السن الناقدون والمسلمين وعاد بعض المنشئين يرون رأي صاحبه  
وينطقون بلسانه ويكتبون بقلبه ودلاً كثير من اهل العلم على مواقع  
الفساد من تربيتهم ونقص الاستعداد من عاداتهم و اشاروا الى تخلفهم في  
حلبة تنازع البقاء عن جيرانهم الالمان والانكاز والاميركان تخلفاً يخشى  
معه ان يتلمهم الجنس السكسوني فيكون مستقبل العالم له دون سواه  
هكذا يقولون : وغير منكر ان الفرنسيين نفعوا الانسانية نفعاً  
لا تنكره وكفاهم مفاداتهم بأبنائهم صراواً تخفيفاً من سلطة الملوك ورفعاً  
لنفاوة جهالة ظلت مسدولة على اوروبا قروناً جعلتها وراء شعوب الارض  
نفلت ربة الاستعباد وقررت حقوق الانسان وقواعد الحرية والإخاء  
والمساواة . ونشرت المعارف في الاطراف حتى ابتدلت واشترك في الاخذ  
من بحرهما المحيط عامة الطبقات فأصبح الحراث الفرنسيون يقرأ ويكتب  
ويفهم اكثر من بعض من ندعوهم بالمتورين في بلادنا . وما يأخذ  
الآن بمض علماء الفرنسيين على امتهم ان هو الا من باب الاستزادة من  
الفضيلة والدعوة الى الكمال والسبق في ميدان التغلب والسيادة . ثم انه  
ليستشق من غالب المكتوب رائحة الفرض ويمترض على بعضهم مبالغتهم  
في وصف أعراض الضعف حتى اوشكت الفائدة ان تضع ويذهب كل  
ما يخطونه الى التشيع والتحرزب ويؤيد ذلك ان ما يكتب صادر من بلاد  
تأصل فيها الانشقاق الداخلي وراجت بضاعة الاحزاب وساد فيها تباين  
الأراء فلا يكتب الملكي او الكهنوتي الا ويرى بصره الى القديم يعجده ،

والتلذذ بيكيه وينشده ، ولا يجهر الجمهوري الا ويفاخر بما تم على يديه  
من ارتقاء ونماء ، ولا ينبري الفوضوي او العدوي او الاشتراكي الا  
وينتدعي الامثلة ويستجيش البراهين اعلاناً بدعوته ، واستتماماً لرغبته ،  
ولكن فرنسا ما زالت بفضل اساسها القديم أمّ المدنية وربنية الحضارة  
وان تقهرت في سياستها واخلاقها فلم ترتبها الميزة على سائر الشعوب  
الاوربية خلا السكسونيين ولكن صحة الوطنية التي عرف بها مساعير  
ابطالها ومشاهير رجالها جعلتهم اليوم يفرطون في النصح والقدح  
« استقلالهم »

وبعد فان الامم من حيث كيانها قسمان استقلالية واتكالية فالأمة  
الاستقلالية هي التي طبعت على حب الانفراد يعتمد كل فردٍ منها على  
نفسه لا على حكومة ولا جمعية ولا حزب ولا عشيرة ولا أسرة  
وانما رجل الدنيا وواحدتها من لا يعول في الدنيا على رجل  
ومثالها الشعوب الانكليزية السكسونية . والامم الاتكالية هي التي  
يعتمد افرادها على مجموعها من الامة او الدولة فيتوكأ كل فرد على غيره  
واعظم مثال لها الامم الشرقية حاشا سيدتها الامة اليابانية العظيمة فان  
التربية الاستقلالية عندها على ما يلفنا قائمة على اعظم هياكلها وابنائها  
ابعد المشاركة عن النشأة الاتكالية

وبديهي ان العلم وحده لا يكفي في سعادة الشعوب ما لم يقرن  
بالعمل وفرنسا وقعت مع من وقع في مثل ذلك من امم الخليفة فزاد فيها  
التكالب على المصالح الهينة والوظائف اللينة فكثر فيها الموظفون والمحامون  
والاطباء والمهندسون وأهل الصحافة والأدب بحيث تنذر قبول من

تخرجهم المدارس العالية باسمها فسدت في وجوه الناشئة ابواب الرزق  
 لأن معظمهم يرى السعادة ان يعيش في باريس ونحوها من المدن الحافلة  
 ليستمتع برفاها وأنسها ولو عاش في قل. وزهدوا في الاشتغال بالصنائع  
 الحرة كالفلاحة والصناعة والتجارة وذلك غير معهود عند من كان دمه  
 سكسونياً إذ لا يرى حطة عليه ان يحترف أية حرفة كانت مهما كان علمه  
 واستمداده ليضمن لنفسه وذويه مرتزقاً فسيحاً وعيشاً استقلالياً لبأباً فان  
 لم يجد ما يعمل في بلاده ينادرها ليستقر مكاناً آخر من الكرة ويستوي  
 عنده العيش بلندن او برلين والاميش في زيلنده الجديدة او مستعمرة  
 الرأس او زنجبار وان شئت فقل في اقاصي صحاري افريقية حيث الوحوش  
 ضارية والسموم لافح والاميش مر المذاق

وتأييداً لذلك نقل هنا ما صرح به احد علماء الاخلاق من القرنيس  
 بهذا الشأن قال : « يزعمون ان شهادة العالمية عندنا باب يدخل منه الى كل  
 سبيل وتسلك بحاملها في كل مسلك وهي على التحقيق لا تفتح الا ثقباً  
 كبيراً هجم عليه اصحاب الرغبات من كل صوب فاستفرقت الحرف  
 الشريفة ووظائف الحكومة جملة بحيث وجب على الامة ان لا تساعد على  
 شر ما برح يتفقم امره منذ سبعة قرون حتى صار جرحاً نفاقاً وضربة  
 مبرحة . واعني بذلك الشر داء الاستخدام والتوظيف

« لا جرم ان الحركة التي بدأت طلائها في فرنسا زمن فيليب الجميل  
 ازعج امرها على عهد لويس الرابع عشر فزاد الحال اشكالاً على اثر عودة  
 الملكية الى فرنسا واستيلاء أسرة بوربون على منصة الحكم وصار على  
 عهد الجمهورية الثالثة الحالية ادهى وأمر . فاذا نشأ الابناء على آسال

آبائهم ولم يصلح حالهم يضيعون مجد اسلافهم ويخربون مملكة قويت على  
الحوادث على حين تقدم عدتها في شدتها ويبدم انقاذها واسقاطها  
« فالجيل الفرنسي الحاضر سيء حاله ومآله وهو الى الكسل والجنون  
أميل منه الى العمل والنصب حتى يصح ان يقال إن البلاد به اضعفت  
من فتاتها ، وامست تسير الى فلاة فئاتها ، ومن الاسف ان فرنسا التي  
كانت على مرّ العصور في مقدمة من يحسن الاعمال وأول مشيرة لكل  
نجاح هي اليوم من حيث تهذيب ابناءها متقهرة عدة قرون الى الوراء .  
وكان تعاليمها الآن هي عينها في القرون المتوسطة التي تركت ألمانيا وشأنها  
الى أن علا صوت جهوري من الشاعر كيتي<sup>(١)</sup> بين اللامان مواقع الضعف  
ومزلق المقاتل ومداحض المخاطر ويقود الافكار الى الحملة على كسر القيود  
ونزع ريق الرق وتجديد جذة الشباب . ينادى يا قوم هؤلاء الانكايير  
امنوا في حالهم ، وانسجوا على منوالهم ، فانكم وايامهم سواة في القيم ، فما ضرركم  
لوباريتوم في الهمم ؛ عملكم قليل ولا تحسنونه وقلما تهضون باعباءه وليس  
لكم نصيب مما أوتوا من مميز الواجب الشخصي والكفاءة الشخصية وهما  
دعامتا القوى التي تشتد بها سواعد الملل . ولما كان كيتي به ربح بهذه  
الافكار كانت المانيا بعيدة عن معاناة التجارة مقطورة في مؤثر الشعوب  
ولم تمض على ذلك مئة سنة حتى استولى أنصار ذلك الشاعر الكبير  
والمتعطون باقواله على محور التجارة فهاج نشاطهم قلق الأمة التي حدوا  
حدوها . وان الانكايير لينظرون اليوم نظر المرتجف الى انبساط ظل  
النفوذ الألماني بهذه السرعة والقوة يزعمون انه لا بد من ان تخلف

(١) كيتي Goethe اعظم كاتب وشاعر الماني مات سنة ١٨٧٢

طوايع البرد الجرمانية الطوايع الانكليزية قريباً .

« كل هذا نتيجة تغير التربية وانتشار المعارف بين الافراد وكثرة الكفاءات في كل فروع العمل . فمن العقل والحالة هذه ان يتدرع الفرنسيين بسلاح من العمل مفيد ويتناضوا من الركوب على متن صمياء بالجرى في طريق جديد من اتقان المبادئ الصحيحة والاخلاق القاضية .

« من رقاعة الفرنسيين ان يعتقدوا علو كعبهم في كل منحنى ومنزوع . ولو ذهب احدكم الى المانيا ودرس احوالها عن أمم لرأى شعباً كان يشكو مما نشكرو منه داءً اصيب به زماناً فثني نفسه من أوصابه . يرى السكسونية مجسمة بابهي مظاهرها فيقدس « كارلايل »<sup>(١)</sup> ظهيرها ونصيرها ويقيس حاله بالانكليز على انهم سباق غايات وأصحاب آيات بينات . ثم اذا قضى من تينك الملكتين لبانه ، وعرف بالنسبة اليها حالته ، يركب البحر المحيط الاطلنطيكي ليتبصر فيما تورثه جددُ الفضائل في هذا القرن الحديث وينجلي له الفرق بين رغائبه ورغائب الاميركان .

« لفرنسا نظارة للمعارف العمومية ولا ميركا مدرسة للتربية فالاولى تعلم والثانية تربي . الاولى تلقن ابناءها كلمات يحفظونها والثانية تعلم مبادئ يسرون عليها . تعد فرنسا ادمغة لحفظ قانون وتسمي اميركا اذرعاً للعمل الاميركان رجال عمل والفرنسيين ليسوا كذلك . يفرس الاميركان في نفوس ناشئتهم شهامة الارادة التي لا تجدي اجمل الهبات الخلقية بدونها ولا يكون العلم نفسه الا عطلاً من النفع مع فقدتها وهذا هو القانون الذي سنه لهم فيلسوفهم

(٢) كارلايل Carlyle كاتب اسكتلندي شهير مات سنة ١٨٨١

اميرسون<sup>(١)</sup> تلميذ هيكل الالماني<sup>(٢)</sup> القائل في فلسفته : ان الحياة ليست مغلاً عقلياً ولا مناقشة ومهاوشة بل الحياة انما هي العمل . ولقد علق في اعلى باب كل مدرسة باميركا شعار معناه : ان تهذيب الخلق اسعى غاية للمدرسة وعلى الشبان ان يُحسنوا معرفة الحياة بارادة ثابتة .

ثم توسع الكاتب في بيان نقص تربية ابناء وطنه وعاد يقول « يلزمنا رجال مهذبون لرجال متعلمون . وفي فرنسا طبعان من المدارس اولاهما للصغار وثانيهما للكبار وبعبارة احلى مدارس الصنائع ومدارس المفكرين . اما حسن التربية الانكليزية السكسونية ورجحانها على التربية الفرنسية فهي قائمة فيما اوتيه البعض من الصفات الشخصية مثل المروءة وحسن الخلق والحصافة والبداهة والجرأة والاقدام على المشروعات والاكتشاف والافتتاح والمخاطر . فبدلاً من ان تنمي فرنسا في نفوس ابناءها هذه الصفات تدرس فيهم ملكات حب التآلف والاجتماع . تبث فيهم التأثير بدل المروءة . وتبث فيهم الخشية من اقوال الناس فيشاكل المرء الجمهور باقواله وافعاله بدل تنشئتهم على خلق يبقى فيه الانسان مستقلاً بنفسه . وبدل الحصافة التي يتأني بها للمرء ايجاد الاشياء بذاته تقوي فيه ملكة الذاكرة التي تعيد عليه ذكر الاشياء التي يحفظها مما عثر عليها غيره بالتجارب وعوضاً عن البداهة التي يتمكن بها المرء من تطبيق ما اوجده بنفسه تبث فيه الثقة فيصبح عرضة لأغراض حكامه . وبدل الجرأة تبث فيه الحذر وبدل الاقدام على المشروعات والفتوح والاستنفاض ( فتح البلاد ) تبث فيه

(١) اميرسون Emerson فيلسوف اميركي مات سنة ١٨٨٢

(٢) هيكل Hegel فيلسوف الماني شهير مات سنة ١٨٢٥

ملكة الاقتصاد والسلم وحب السكن . وبدلاً من اقتحام المخاطر تحسن  
له الرضى بالاستخدام »

ثم اجمل الكلام هنا على الفلاحين والصناع والتجار والعملة من  
مجموع الامة الفرنسية وانتقل الى الخيار من قومه وعنى بهم العلماء  
والفلاسفة واهل البصر فقال مستنداً الى اقوال العلماء :

« ان دماغ الجنس السكسونى متمدن ومحدود وذكاؤه تحليلى وجنسه  
جنس العمل والكد وعلى عكسه دماغ الجنس الفرنسي فانه موسع  
وذكاؤه تألّفي وهو خيالي يعشق التصورات ، وبالجملة يعنى الجنس الاول  
ابداً بالحقائق على حين يفضل الثاني الافكار والحواطر . يجيد السكسونى  
في الغالب القيام على الاعمال المادية وبعض الفرنسيين يحرزون قصب السبق  
في ميادين الذكاء المتسعة الاطراف

« الأوان قيمة الجنس السكسونى بمجموعه وقيمة الجنس  
الفرنساوي بخياره فالفرنسي المتوسط لا يساوي الانكليزي المتوسط  
والافرنسي العالي يساوي أكثر من انكليزي عالٍ ولكن الخيار من  
الفرنسيين لا يشغلون المكانة التي يستحقونها لانهم مغلوبون للاخلاق  
الحالية غير مستوفي شروط النفع ولا تاتي ادوات التهذيب

« وانجح طريقة يجب على فرنسا سلوكها تحسين تربية خيارها وتربية  
افرادها ومزج الخاصتين السكسونية والفرنسية وتطبيق تربية جمهور  
الانكليز على تربية خيار الفرنسيين ليأتي الغد وفرنسا من وراء هذه  
التربية شعب صغير كالشعب الآيني يهب لها فاتحين ذوي افهام ، ورجالاً  
صالح الاحلام ، يساوون الجيوش ويوازنون كل عدد وعدة ويخدمون

أمتهم خدمة ارخيدس<sup>(١)</sup> وينفذون وطنهم انفاذ تيمستوكلس<sup>(٢)</sup> . اه

« انكالا »

بمثل هذا اللسان يخاطب الكاتب الفرنسي امته ويقرعها تقريباً امرت من الصاب واللملم لتستفيق من غشية تخشى منبتها وتفتت من الوقوع في مغالب اسود السكسون لئلا يكون حظها في الوجود حظ الامم البائدة كالرومان واليونان والفرس والعرب . وما القصد من ايراد كلامه بنصه الا ليحصل التمثيل بيننا وبين امة نشابها في الاعراض وان كانت اعلى منا جوهرأ .

ولعله يخيل لبعض سكان هذه الديار ان الفرنسيين مثلهم في الانحطاط وان لهم بهم قدوة حسنة واعظم سلوى ولكن شان بين حالنا وحالهم ورجالنا ورجالهم وحضارتنا وحضارتهم . امة تشخص الداء وتفكر في وصف الدواء او تشعر بنقصها وتسمى الى كمالها وامة موقنة بان داءها عين الصحة لا بأس عليها ولا خشية من ناحية حياتها . يرضيها نقصها فلا تريد استبدال غيره به وكل من محضها النصح رمته بأحلال عقدة الوطنية والمروق من عهد الحمية وصدق التابية

لا جرم ان الرجل الفرنسي الراقب في الاستخدام لا يشبه الرجل المصري أو السوري أو العراقي مثلاً فان الأول يستمد ليحسن الاضطلاع

(١) ارخيدس Archimède أحد مشاهير المهندسين القدماء ولد في سيرا كوس إحدى مدائن صقلية حوالي سنة ٢٨٧ ق . م ومات سنة ٢١٢ وحصار الرومان وطنه فدافع عنه ثلاث سنين بقوة بنايات حلية او ميكانيكية

(٢) تيمستوكلس Thémistocle قائد أثيني شهيد ٥٢٥ — ٤١٠ ق . م

بما يوسد اليه من اصرامته ومعظم هؤلاء على نقص في المدارك وانحطاط  
 في الفضيلة يطمحون الى السعادة والسيادة بلا سابق معرفة سوى اواصر  
 القربى او التقرب او اواخي للمواخاة والتزلف او وشائج الدرهم والدينار  
 ولقد اصبح من الرأي المقرر بين الناس ان كل من ليس له علاقة  
 بالحكام كمضوأصيب بالأكلة لا حيلة فيه الا بالبترا او الموت بيد انه لا  
 تهرب على الفقير اذا رشح ابنه لأي خدمة كانت ليرتفع بها من الدنية  
 ما دامت البلاد صفراً من اصناف المعاش الذي يزعج صاحبه عن العيش  
 الانكالي ويورده موارد الاستقلال بل اللوم كل اللوم على رجل يمد من  
 نواصي اهل وطنه وعليتهم وله من العقار والقرى ما يسد عوزة وعوز  
 مئات معه وهو على ما له من الاعتبار بين جيله وقبيله يُسِفُّ الى الاستخدام  
 في وظيفة ليتباهى بها امام العدو والصدیق

اعرف رجلاً في إحدى مدن سورية الحافلة له عراقة في محتده  
 واصالة بين قومه وسعة من دنياه وتراه مع هذا يصرف نهاره وليله في  
 نيل الزلفى من الامراء كتباً لخصومه فيبذل كل عام في هذا السبيل من  
 الصفراء والبيضاء ، ما يكفي لإعالة الف نسمة من اصحاب البأساء ، وكما  
 طعن في السن يزداد غلواً في مباديه ، واصراراً على نكايه اعاديه ، وهو  
 دائماً اجول من قطرب واشغل من ذات النجيين ومساغيه ابدأ محففة وآماله  
 مخيبة . وهكذا حال خصمه اللدود له مال وبنون ومقام بين اهل حيه كريم  
 ولكن لا يهدأ له بال الا بالجلوس على ارائك الحكم ومقاعد التصدر  
 يتلمس لبنه اذناً بملازمة الدواوين مزاحمة لاولاد الفقراء ليستأثروا بعد  
 بالرواتب دونهم وينالوا المعالي بنفوذ والدم عفووا صفواً

ولو عقلا لاستعاضا عن التلحي بهذه السفاسف بإدارة شؤون  
 مزارعها الواسعة وتحسين طرقها وتنمية غلاتها وثمراتها ولكن هو حب  
 الرئاسة يستلب الالباب وفي الامثال « يا حبيذا الإمارة ولو على الحجارة »  
 واطالما سمعنا أن فلانا غادر سكنه ومسكنه تاركا دخلا يكفيه وعياله  
 لأن يعيش عيش الاستقلال فيوكل به من يسرق نصفه لينتظم في سلك  
 الموظفين ويأخذ من استخدامه ما يوازي النصف الذي فقده بنياه ويستندي  
 من دماء الأمة سحتا بحتا وحراما محضاً ليقال عنه انه من الموظفين  
 ويخاطب بالفضيلة والسعادة ثم اذا كثر سواد اقرانه يقضى حياته قلق  
 الضير وربما انفق كل ما يملكه من تراث آباءه ليرتقي الى وظيفة أعلى من  
 وظيفته ويسبق من سبقه أو هم لاحقوه . وما الموظفون في الحكومات  
 الاستبدادية براغبين ان يعدوا من مثلها ليجموا ما يملكونه من اعتداه  
 المعتدى وتسف الظالم كما هي دعواهم بل ليكونوا جلا دين في تلك الدولة  
 ويسوغ لهم آيآن كل منكر ارادوه بلا وازع ولا رادع .  
 ألا وان الامثال لكثيرة على من آثروا العيش الاتكالي ورضوا  
 بالاسفاف الى الدنيا كأصحاب الأوقاف ممن يرضون بالكفاف من العيش  
 ويقنعون بدرهمات تأتيمهم من وراء أجدادهم . اصف الى زصرتهم من  
 حبسوا انفسهم في الصوامع والجوامع مثل المدرس والمؤذن والخطيب  
 ممن يكتفون بالزر من المشاهرات يقبضونها ببذل ماء الحيا ويصرفون  
 لاجلها من الاوقات ما لو صرفوه في بيع الثرى لأثروا به ثم يرقبون ما تأتيمهم  
 من اجور الطلاق والمناكحات ويتلمظون بطعام الولاثم والوضائم ويقنعون  
 بتقيل الأيدي ومصافحة المريدين . وكذلك حال الرهبان والقسيسين

وسائر من يتصرف باسم الدين وهم فائضون عن الحاجة فكلمهم يتقربون  
بالتفاقة الى مولاهم ويستوكفون أكف الصدقات ، وينتظرون قيم  
الصلوات والدعوات ، وهذا الخلق مستحکم من المسلمين بحکم التربية  
أكثر منه بنيرهم من الطوائف .

اليك شرح الانتكال المجهّم الذي شكاه كبار الفرنسيين وهو عندنا  
في ارقى درجاته ولا نشكو ولا نتبرم واما شكواهم من كثرة المرشحين  
للحرف الأدبية فيقابلة شكوانا من قتلهم اذا لم نقل من فقدمهم — يوزنا  
الصحفي الملامة والطابع الماهر والطبيب النطاسي والحامي الحاذق والاقتصادي  
المدرّب والرياضي المنجذو والطبيعي المتعقل والمهندس القطن والسائح الثابت  
والمثل القاضل ممن تبرم بكثرتهم في فرنسا صاحب سرّ تقدم الانكاز  
السكسونيين ولكننا نحن في غنية عن هذا المدد الدثر من الخايب  
والكاتب والمصاحب والجاوس والمسجل والرئيس والمروّس بل وألوف  
مؤلفة من أصحاب الرواتب بلا عمل الذين يأكلون مال الامة بالباطل  
ويعيشون على عاتقها حملاً ثقيلاً فلاهم بوجودهم ينعمونها ولا هم عن  
مفرمها غافلون .

أين حال الاغنياء والاعيان المتهاوتين على المناصب في بلادنا من اهل  
تلك الطبقة في انكرا مثلاً حيث الحكومة تخطبهم والشعب يطلبهم  
وشتان بين خاطب ومخطوب

كتب أحد سرة بريطانيا الى صديق له يقول : دع الناس يطلبون  
الارزاق من الدولة فانا لا انحو منحاهم لانني أقدر ان اكون غنياً بتسامي  
عن الدنيا ولا ارتضي أن اشين خدمتي لوطني بفوائد ذاتية فاني اعلم في

بستاني بيدي واجترىء بالقليل من النفقة عن الكثير .  
وهو كما رأيت كلام من يوقن ان الإمارة ليست بمذهب طبيعي  
للمعاش بل كلام من ارتقى وتهذب وعلم علم اليقين أن الحكومات ليست  
الا خادمة للامم وان الشعب في غنية عنها ولاغنى لها عنه . فتي يكون مثل  
هذا القول لسان حال أعيان بلادنا حتى لا يكونوا على امتهم اضر من  
العث في الصوف والدودة في الكرمه . ولكن المشاركة انفسوا في  
مضال الجهالة منذ قرون حتى اصبحوا يقدسون حكامهم ومن اقتسب  
اليهم وغالوا في تعظيمهم الى أن بلغوا بهم منازل الالهية ، وانشأوا يستحلون  
لهم المحارم ويطلقون عليهم القاب الربوبية .  
وما برح الناس يبحثون عن داء المجتمع الانساني ويصفون له الأدوية  
وهو لا يزداد إلا تفتياً وقد أعضل ما يسميه الغربيون بالمسألة الاجتماعية  
حتى حار في طبها رجال العلم والسياسة وأصبحت شغلاً شاغلاً لاهل  
المدارك السامية ولذا قال صاحب سر تقدم الانكليز السكسون : ليست  
المسألة الاجتماعية عبارة عن مساعدة الافراد كما أن مسألة الحياة لا تقوم  
بكثرة تناول الادوية والعقاقير اذ ليست المساعدة أو العقاقير من وسائل  
الحياة الطبيعية وليست الحكمة إلا ما ادت الى الاستغناء عن تلك الوسائل  
الصناعية . وليس من حل للمسألة الاجتماعية الا جعل الافراد بحيث  
يستطيع كل فرد منهم أن يقوم بامر نفسه وان يرتقي بمجده وعمله لان  
سلامة الاجتماع كالسلامة الاخروية تقوم بكل واحد على حدته وعلى كل  
واحد ان يسعى اليها . وقولي هذا لا يروق في اعين الذين اتخذوا السياسة  
حرفة وغيرهم ممن طلبوا رزقهم من انحطاط الأمة وضمف مدارك الطبقات

النازلة وكانت منقصهم في بقاء الناس دائماً على حالة يشبهون فيها القاصرين حتى يتيسر لهم ان يكونوا عليهم اوصياء . اهـ  
 ونحن لو استشهدنا التاريخ لرأينا اجدادنا كانوا في منازع حياتهم اشبه بالجنس السكسوني لا يعرفون مع بسطة الجاه واتساع الثروة والملك الا النشأة الاستقلالية بيدين في كل اطوارهم عن السرف والترف فقد اشتهر من سيرة الصديق الاكبر رضى الله عنه انه كان يندو كل يوم الى السوق فيبيع ويبتاع وكانت له قطعة ضم تروح عليه وربما خرج هو بنفسه فيها وربما رعيت له وكان يحلب للحي اغنامهم . فلما بويج بالخلافة قالت جارية منهم الآن لا يحلب لنا مناع<sup>(١)</sup> دارنا فسممها فقال بلى لعمري لا حليبنا لكم واني لأرجو أن لا يغير بي ما دخلت فيه فكان يحلب لهم . ثم قال ما تصلح أمور الناس مع التجارة وما يصلح الا التفرغ لهم والنظر في شأنهم فترك التجارة وقيل اراده الصحابة على تركها وأنفق من مال المسلمين ما يصلحه وعياله يوماً بيوم فكان الذي فرضوا له في كل سنة ستة آلاف درهم وقيل فرضوا له ما يكفيه فلما حضرته الوفاة اوصى أن تباع ارض له ويصرف ثمنها بدلاً مما اخذه من مال المسلمين .

ولما فرض عمر بن الخطاب رضى الله عنه العطاء قال للمسلمين انى كنت اصراً تاجراً يعني الله عيالي بتجارتى وقد شغلتموني باصركم هذا فما ترون انه يحل لى في هذا المال وعلى ساكت فأكثر القوم فقال ما تقول يا علي فقال ما اصلحك وعيالك بالمروف ليس لك غيره فاخذ عمر قوته . وان لنا في غير هذين الامامين من رجال سلفنا الصالح الأسوة الحسنة في

(١) منحه الناقة جعل له وبرها ولبنها وولدها وهي المنحة والمنيحة

فضيلة الاستقلال وترك الاتكال ولنا الأسوة في الام الحية لهدنا التي  
 نرى آثارها باهتين شاخصين فالعبر بين ايدينا ومن ورائنا وعن ايماننا  
 وشمالكنا ولكننا لا نستبر



### ﴿ باب العقائد من الأمانى الدينية ﴾

( الدرس (٢٠) وظائف الرسل عليهم الصلاة والسلام )

المسئلة (٢٨) تمهيد للموضوع — تعرف وظائف الرسل بالاجمال من  
 وجه الحاجة اليهم وتعرف بالتفصيل من النظر في اديانهم والوقوف على  
 شرائعهم وليس بين ايدينا دين الهي وشريعة سماوية ضبطت كتبها واتصل  
 نسبها بمن جاء بها الا دين الاسلام الذي حفظ كتابه في الصدور والسطور  
 ونقلت سنة نبيه بالعمل اذ لم يقوَ على اهله شعب دين آخر يضطهدهم  
 ويتلاعب بدينهم وضبط القولي منها بالقول ضبطاً لم يمهده له مثيل في تاريخ  
 البشر فهو الذي يجب ان يتخذة الباحثون في طبائع الملل وأصول الأديان  
 وتاريخها ميزاناً لمعرفة وظائف الرسل وبيان الحاجة اليهم فيها ويزنوا به سائر  
 ما نسب الى الانبياء والرسل من الكتب المقدسة فما رجع فيه قبل ، وما  
 خف وشال ترك وأهمل ، وحمل على انه من تحريف المحرفين ، واضافات  
 الماشرين ، فان لم يسلكوا هذا المسلك يروا اختلافاً كثيراً وأموراً لا تنطبق  
 على وجه الحاجة الى الرسل وتلك الجناية الكبرى على الدين بل على بني  
 الانسان اجمعين

هذا المسلك هو ما جاء به الاسلام ، وعمل به النبي عليه الصلاة والسلام ،  
 واتبعه به الراشدون ولم يقصر فيه المسلمون الا بعد ضعف الاسلام وفشو